الرايس حميدو أول بحار محلي في أسطول الجزائر العثمانية(1770-1815)

الباحث1: إسماعيل توتة /الباحث2: يوسف صداقي
طالبا دكتوراه
جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة-

الملخص:

الرايس حميدو كان شغوفا بالبحر منذ الصغر وما زاد شغفه للبحر هو تلك القصص التي كان يسمعها من البحارة أثناء عودته من الغزو. فصار متلهفا إلى سلك طريقهم ليشتغل كنوتي صغير على متن سفينة احد البحارة الذين كان عددهم كثير آنذاك في مدينة الجزائر. وتدرج في الرتب إلى أن أصبح قائدا عاما للأسطول الجزائري سنة 1797 إلى غاية وفاته في 1815. وخلال هاته الفترة اكتسب شهرة واسعة سواءا بالجزائر أو في الأوساط الأوروبية. فقط استطاع أن يفوز في أعتى المعارك ويحصل على العديد من الغنائم والأسرى.

الكلمات المفتاحية: الرايس حميدو، الأسرى، الغنائم

Abstract:

Rais Hamidou was passionate about the sea since childhood, and his passion for the sea was those stories he had heard from sailors on his return from the invasion. So eager to go their way to work a little knutty on board the ship of one of the sailors, who were many at the time in the city of Algeria. He graduated in ranks until he became Commander in Chief of the Algerian fleet in 1797 until his death in 1815. During this period, he gained wide fame both in Algeria and in European circles. Only he can win the toughest battles and get many loot and captives.

Key words: Rais Hamidou, the prisoners, the spoils

مقدمة:

تزخر الجزائر بعديد الشخصيات البارزة التي تركت اسمها يذكر كلما ذكرنا إسهاماتها الفعالة للمجتمع الجزائري سواءا في المجال الثقافي أو السياسي أو الاقتصادي وحتى الاجتماعي، ومن بين هاته الشخصيات "الرايس حميدو". الذي يعتبر شخصية استثنائية تعلو كثيرا عن مستوى زمانها وهو زمان لا يصعد كثيرا نحو العلى، خاصة إذا كنا نعلم أن ذو الأصول الجزائرية كانوا ممنوعين من تقلد مناصب عليا لدى الدولة العثمانية إلا من كان عثمانيا أو بدرجة اقل كرغليا، غير انه كسر تلك القاعدة وأصبح أكبر أميرال فاقت شهرته كل التوقعات.

فمن هو الرايس حميدو؟ وماهي الظروف التي جعلته بحارا؟

حياة الرايس حميدو:

هو محمد بن علي الملقب بحميدو. ولد في حي القصبة بالجزائر العاصمة سنة 1770، وهو من عائلة جزائرية تعود جذورها إلى مدينة يسر.[1]

كان متوسط القامة ورشيقا، ابيض البشرة ازرق العينين وشعره أشقر. لم يكن الرايس حميدو لا تركيا ولا كرغليا، بل عربيا من الذين استوطنوا المدينة منذ زمن طويل والذين يطلق عليهم الأهالي اسم الحضر. وقد كان حميدو نشيطا، شجاعا، كريما لبقا، رشيقا ظريفا مع جميع الناس كبارهم و صغارهم، الأمر الذي جعله محبوبا لدى العموم.[2]

لم يكن هناك ما يؤكد بأن حياته ستكون مليئة بالمغامرات فأبوه علي، كان قد هيأه لممارسة حرفة الخياطة. وما أن بلغ سن 10 أو 12 من العمر حتى أخذه إلى أشهر مفصلي البذلات في الجزائر لتعلم الحرفة. غير انه وعلى حسب بعض الروايات كان كثيرا ما يتغيب عن ورشة الخياطة، ليقصد بعض البحارة العائدين من الرحلات الخطيرة، للإصغاء إليهم وهم يسردون مغامراتهم المملوءة بالمخاطر. فصار متلهفا إلى سلك طريق أولائك الذين صورهم خياله على أنهم أبطال، ضف إلى ذلك كره الشديد للكفار وهذا الكره يعتبر قاعدة محورية للمقاتلين المسلمين، وتعطشه الشديد للجهاد كان دافعا لهجره ورشة الخياطة، ليشتغل كنوتي صغير على متن سفينة احد البحارة الذين كان عددهم كثير آنذاك في مدينة الجزائر. وباختيار حميدو لهذه المهنة الجديدة كان يقول، أريد تنشيط رجلي التي أصابهما الفشل جراء

[1] http://www.jazaironline.net

[2] ألبير دوفال، الرايس حميدو، تعريب: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، ص ص 10، 11.

جلسة الخياطة المتعبة.[1] ثم أصبح بحارا ثم ضابطا، فرَايساً، فقُبطانا وقائدا عاما للأسطول الجزائري من 1797 إلى وفاته في 1815.[2]

ركوبه البحر وقتال الأجانب:

يعتبر باي وهران أول من قام بتقييم كفاءة الرايس حميدو، فكلفة بالإشراف على احد قواربه، ولما نجح وكسب ثقته، أسند له قيادة أسطوله البحري الذي كان يتكون من شبقين أو ثلاثة وعدد مماثل من القوارب.

ذات يوم بينما كانت مجموعة من السفن البحرية الوهرانية تتكون من ثلاثة اشباق[3]، تحت قيادته تراقب خلسة طريق الكفار، التقت بالقرب من جزر البليار، بسفينتين حربيتين من جنوة. رغم أن القوات غير متكافئة، إلا أن حميدو لم يفر، وقام بمناورات في منتهى البراعة والنشاط وتمكن من إرغام السفينتين على الابتعاد دون أن تحققا نصرا كان يمكن تحقيقه بحكم الفارق الكبير بين القويتين. وكان لهذه القضية صدى كبير وسط الناس، كما أنها صارت موضوعا للحديث في مدينة الجزائر التي يكثرها فيها الرياس الناشطون[4].

وبفضل الشهرة التي اكتسبها دعاه الداي حسن بن حسين إلى مدينة الجزائر، واسند له قيادة شبق مزود باثني عشر مدفعا، وستين محاربا كلهم مستعدون للتضحية وغنم الأموال والسفن، وكرد للجميل على الثقة التي وضعت فيه، أسر في رحلاته الأولى عددا من القوارب، الأمر الذي أبهج المؤمنين وضاعف رؤوس أموالهم.[5]

أهم الغنائم التي تحصل عليها الرايس حميدو:

يقول الشريف الزهار في مذكراته، أنه في سنة 1215هـ(1800م) خرج القبطان حميدو للغزو في فرقاطة وبالقرب من مضيق جبل طارق صادف فرقاطة أكبر من فرقاطته تعود للبرتغاليين الذين خرج لقتالهم، فدعا الله أن تكون غنيمة له، فهاجمها؛ وبفضل شجاعة القبطان حميدو ورجاله تمكن من أسرها مع طاقمها، وعادوا قاصدين الجزائر بهذه الغنيمة العظيمة، فاستبشر الداي بهذا النصر العظيم،

---

[1] علي تابليت، الرايس حميدو: أميرال البحرية الجزائرية 1770- 1815، منشورات ثالة، الجزائر، 2006، ص 3.

[2] المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني: القرصنة، الأساطير والواقع، ج2، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص 422.

[3] الشبق: هو كل سفينة صغيرة. ويفضل استعمال هذا النوع من المراكب لخفته وقلة كلفته.

[4] A.devoulx , LE RAIS HAMIDOU, typographie adolphe jourdan, imprimeur, place de gouvernement, alger, 1859. Pp 27,28 .

[5] ألبير دوفال، مرجع سابق، ص 21.

وفرح جميع الناس الذين خرجوا لملاقاته، حيث لم يبقى في البلاد ألا العجائز، وتعجب الناس من صنعه لأنها فرقاطة أكبر من التي كان فيها، ولدى نزوله بالمرسى اشتغل بإنزال الأسرى والذخائر، حيث بلغ عدد الأسرى خمسمائة أسير.[1]

وخلال الثمانية سنوات -التي قضاها مصطفى باشا في منصبه- حافظ حميدو على قيادة سفينته(La corvette) واستمر ذكره بجانب هذه السفينة في دفتر الغنائم.

حيث غنمت فرقاطة الرايس حاج يعقوب، وسفينة الرايس حميدو، وسفينة قارة دانقلي، وسنبك الرايس محمد وعلي، والرايس قُردورلي، سفينة نابولية محملة ببضائع مختلفة (15 محرم 1213- جوان 1798). ويقدر المنتوج بقيمة 6798 فرنك.

كما غنمت نفس السفن السابقة الذكر سفينتين نابوليتين محملتين بالقمح واللوبيا، والتبغ، ومواد زجاجية، وألواح وأشياء اخرى (2 صفر 1213- 16 جويلية 1798). ويقدر المنتوج بقيمة 67470 فرنك و60 سنتيما.[2]

وغنمت نفس السفن، سفينة محملة بالقمح (20 صفر 1213-03اوت 1798). ويقدر المحصول بمبلغ 1047 فرنك و60 سنتيما.[3]

غنمت أيضا فرقاطة الحاج يعقوب، وسفينة polacre لأحمد رايس وقارة دنقلي، وcorvette للرايس حميدو، سفينة يونانية محملة بالورق والقمح والصابون (4 رجب 1213-12 ديسمبر 1798). ويقدر المنتوج بقيمة 277755 فرنك و60 سنتيما.[4]

وقد احتجز الريس حميدو شنبقا نابوليا مشحونا بالفول، ويحمل على متنه تسعة كفار (5 محرم 1214-9 جوان 1799). ويقدر المحصول بمبلغ 4326 فرنك و60 سنتيما.

ولقد احتجزت أيضا حراقة الريس حميدو ثلاث سفن نابولية مشحونة بالملح، وتحمل على متنها ثلاثة وأربعين كافرا (28 ربيع الأول 1214- 30اوت 1799). ويقدر المحصول بمبلغ 25468 فرنك و80 سنتيما.

كما غنم الرايس حميدو سفينتين نابوليتين مشحونتين بالملح، وتحملان على متنها خمسين كافرا (5 شعبان1214-2 جانفي 1800). ويقدر المحصول بمبلغ 36499 فرنك و40 سنتيما.[1]

---

[1] احمد الشريف الزهار، مذكرات احمد الشريف الزهار، تح. أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت، الجزائر، ط2، 1980، ص47

[2] علي تابليت، مرجع سابق، ص 10.

[3] ألبير دوفال، مرجع سابق، ص 50.

[4] علي تابليت، مرجع سابق، ص ص، 10، 11.

واحتجز أيضا قاربا نابوليا مشحونا بالزيت، وجد على متنه ألف ليرة ذهبية من ليرات البندقية وواحد وثلاثون كافرا. (16 رمضان 1216-20جانفي 1802). يقدر المحصول بمبلغ 19592 فرنك و60 سنتيما.

وبحصوله على الحراقة الجديدة، فكر في الحصول على سفينة حربية، وكان له ما أراد، حينما احتجز سفينة حربية برتغالية تشتمل على أربعة وأربعين مدفعا، وتحمل على متنها أثنين وثمانين ومائتي أسير من الكفار (25 محرم 1217-28ماي 1802). وقد دفع الباشا ثمن هذه الغنيمة نقدا، بحكم أن السفينة حربية ولا يباع عتادها، ويعطى للدولة.[2]

وبعد اندلاع الحرب مع ايالة تونس لم يتأخر الرايس حميدو في تقديم خدماته. ففي (11 رمضان1225-10 أكتوبر 1810)، غنم الرايس حميدو بضائع تونسية تقدر بـ 9138 فرنك و40 سنتيما.

(وفي جمادى الأول 1226-29 ماي إلى 22 جوان 1811)، غنمت ست سفن حربية يقودها الرايس حميدو بضائع تونسية محملة على متن سفينة بريطانية، تقدر قيمتها بـ 5387 فرنك و60 سنتيما.[3]

أسرى الرايس حميدو حسب دفتر التشريفات:

الجدول1: عدد الأسرى[4]

السنة	عدد الأسرى	البلد
1795م (1210هـ)	16	أمريكا
1802م (1217هـ)	366	البرتغال
1812م (1227هـ)	52	فرنسا
المجموع	**434 أسير**	

الجدول 2: أسماء بعض الشخصيات التي أسرها الرايس حميدو[5]

السنة	الاسم	البلد
1796م (1211هـ)	ماتيو أوبالوجا (Mathieu Opaloga)	بروسيا
//	لورنزو مولينا (Lorenzo Molina)	بروسيا
//	فيتوريو روياتو (Witourio Riouato)	بروسيا

[1] ألبير دوفال، مرجع سابق ، ص ص، 56، 57.

[2] المرجع نفسه، ص ص، 58، 59.

[3] علي تابليت، مرجع سابق، ص 22.

[4] Devoulx Albert, Tachrifat Recueil de Notes Historiques sur L'administration de L'ancienne Régence D'alger, Alger: Imprimerie du Gouvernement,1852. P 135.

[5] Ibid, Pp 148- 152.

1797م (1212هـ)	فرانسيسكو أكوستا (Francisco Acosta)	اسبانيا
//	جوزيفو ناكويرا (Josefo Naquerira)	اسبانيا
//	جوزيفو فرناندو (Josefo Fernando)	-
//	فرانسيسكو جالوري (Francisco Gallouri)	اسبانيا
//	جوزيفو مرينا(Joséfo-Marina)	اسبانيا
//	فرانسيسكو روداس (Francisco Rodas)	اسبانيا
//	باسكوال مارتيني (Pascual Martini)	اسبانيا
//	لويس بوراتو (Louis Poratto)	جنوى
//	هانريكو فاريرا داسلو(Henrico Varira Daslo)	جنوى
//	باتيستا أندريا (Batista Andréa)	اسبانيا
//	رامون بيرو (Ramon Bero)	اسبانيا
//	رامون ليوديرا (Ramon Liodira)	اسبانيا
//	جوزيف رالماني (Joseph Ralmani)	اسبانيا
1797م (21 شعبان 1212هـ)	مانويل رودرجو (Manuelo Roderguo)	اسبانيا
//	ماريا روديرجو (Maria Roderguo)	اسبانيا
//	جوزيف دالوبي (Joseph Dalopé)	-
//	أنجيلو لاستيركو (Angelo Lastirco)	انجلترا
//	أندريا كوريسيا(Andréa Corissia)	اسبانيا
//	أقنياسوس لويس(Agniasos Louis)	اسبانيا
//	أنطونيو لويس (Louis Antonio)	اسبانيا
//	خوان كاردونا (Juan Cardona)	اسبانيا
1802م (رجب 1217هـ)	أنطونيو جافيرو (Gaffiro Antonio)	نابولي
//	سلفادور كافاجي (Salvador Caffagi)	نابولي
//	جوزيفو مستوجانتي (Josefo Mastojanti)	نابولي
//	خواكينو جوزيف باراري - ديلمادو (Juaquino-Joseph-Parari -Dilmado)	البرتغال
//	دومينغو لويس تيودور (Domingo Louis-Théodore)	-

//	مانويل ديماتوس (Manuel Dimatos)	البرتغال
//	برناردو بارجيس- دوالي (Bernardo Pargis-Duali)	البرتغال
//	بوتاريانو جوزيفو فينتو (Boutariano Joséfo-Vénto)	البرتغال
//	خواكينو أنطونيو داكوتو (Juaquino-Antonio Dakioto)	اسبانيا
//	خوان باتيستا فيرارا (Juan-Batista Virara)	البرتغال
//	مانويل لويس فيرارا (Manuel-Louis Virara)	البرتغال
//	خواكينو جوزيفو فيرارا (Juaquino-Josefo Virara)	البرتغال
//	جوزيف خوان (Josefo-Juan)	البرتغال

بعض الشهادات حول بطولة الرايس حميدو:

يقول بنانتي (pananti): "لقد كان لي الشرف أن وقعت أسيرا في أيدي رايس يسمى حميدو، ولو أن له بشرة داكنة، أو على الأصح كانت ملامحه المخيفة وسلوكه يبعثان على الاشمئزاز. فإن الحكم في الجزائر لا يتغير تقريبا إذ تمنح القيادة الهامة للانكشاريين، فهذا الشخص وصل إلى رتبة أميرال كبير، على الرغم من انه جزائري، بل أكثر من ذلك، ينظر إليه بحقارة لعرقه الجزائري، فوصوله للسلطة يرجع إلى الاستحقاق والشهرة، والألقاب التي يحملها جعلته يبقى في السلطة. على الرغم من كثرة الأتراك الذين حاولوا أن يكونوا مكانه، فحميدو يتمتع حقيقة بمواهب وشجاعة ... جعلت اسمه في مصاف شخصيات مثل سنان، ودراقو.."[1].

أما ديفولكس (devoulx) يقول: "بعد الغنائم الأخيرة التي جلبها الرايس حميدو إلى ميناء الجزائر... سيلقى حتفه في ذلك البحر الذي ظل يشقه مدة طويلة، وكانت تلك النهاية شريفة يستحقها من كان في مثل شجاعته، ولقد لفظ أنفاسه الأخيرة وهو على كرسي القيادة، هادئا ومقداما، تحت نيران احد الأساطيل الأمريكية الذي باغته فطوقه وكانت مقاومة حميدو مشرفة على الرغم من عدم تكافؤ القوات.."[2].

[1] M.pananti ,relation d'un séjoue a alger, normant imprimeur, libreure,paris, pp 65 ,66.

[2] A.devoulx , op.cit, p113.

وقد قال شالر"الرايس حميدو الذي قتل في معركة اسر الكمودور ديكاتور سفينته سنة 1815...ارتقى إلى مركز القيادة بسبب ماكان يتمتع به من الذكاء الحاد والشجاعة الخارقة".[1]

أما عزيز سامح ألتر ذكر الاستياء الكبير للاسبانيين من الرايس حامد بسبب مهاجمتهم لهم بكثرة، وما ألحقه بهم من أضرار، فقد أصبح أطفالهم يخافون من اسم الرايس حامد، وكان الداي علي باشا يحترم الرايس حامد ويقدره كثيرا، وكان يزوره في مضافته مرارا.."[2].

خاتمة:

لم تحتفظ الذاكرة الوطنية الرسمية في الجزائر إلا بالصورة الرمزية التي يمثلها الرايس حميدو. فهناك سفن وشوارع وضواحي قرب مدينة الجزائر تحمل اسمه الذي يعرفه بدون شك كل الطلاب الجزائريين

لقد اجمع جل الأجانب على شجاعته وبسالته في القتال، وقد تأسف الأمريكان على مقتله لقيمته المهمة

كان حديث العام والخاص وسط الأهالي، فهو الوحيد الذي سجل في الوثائق الرسمية وفي الحوليات والشهادات المعاصرة التي كتبها الجزائريون بأنه الشهيد الذي رضي الله عنه، ويجله الناس كأحد أولياء الله.

[1] وليام شالر، مذكرات وليام شالر: قنصل امريكا بالجزائر، تعر وتقد وتع، اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 52.

[2] عزيز سامح ألتر، الاتراك العثمانيون في شمال افريقيا، تر. محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1989، ص 599.

قائمة المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

الشريف الزهار احمد، مذكرات احمد الشريف الزهار، تح. أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت، الجزائر، ط2، 1980.

سامح ألتر عزيز، الأتراك العثمانيون في شمال أفريقيا، تر. محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1989.

شالر وليام، مذكرات وليام شالر: قنصل أمريكا بالجزائر، تعر وتقد وتع، اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

مروش المنور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني: القرصنة، الأساطير والواقع، ج2، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.

تابليت علي، الرايس حميدو: أميرال البحرية الجزائرية 1770-1815، منشورات ثالة، الجزائر، 2006.

دوفال ألبير، الرايس حميدو، تعريب: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر

البريد الالكتروني:

http://www.jazaironline.net

اللغة الاجنبية

Devoulx Albert, Tachrifat Recueil de Notes Historiques sur L'administration de L'ancienne Régence D'alger, Alger: Imprimerie du Gouvernement,1852.

Devoulx Albert, LE RAIS HAMIDOU, typographie adolphe jourdan, imprimeur, place de gouvernement, alger, 1859.

. M.pananti, relation d'un séjoue a alger, normant imprimeur, libreure, paris